ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

الإثنوغرافيا الافتراضية واستخداماتها في دراسات الوسائط الجديدة

Virtual Ethnography and its Uses in New Media Studies

الطاهر بصيص[1]، عبد الرحمان قدي[2،*]

[1] جامعة الجزائر3 (الجزائر)، bessais.tahar@univ-alger3.dz

[2] جامعة الجزائر3(الجزائر)، abderrahmanekeddi@univ-alger3.dz

تاريخ الإستلام: 10/ 01/ 2022 **تاريخ القبول:** 24/ 05/ 2022 **تاريخ النشر:** 14/ 06/ 2022

ملخص:

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تشريح أهم التطورات التي شهدها حقل تكنولوجيات الإعلام والاتصال أو ما يسمى بالوسائط الجديدة، التي ساهمت بشكل كبير في بروز مقاربة بحثية جديدة تمّ إدخالها في حقل الدراسات الإعلامية والاتصالية، هذه المقاربة أطلق عليها مفهوم "الإثنوغرافيا الافتراضية"، حيث اعتُبر المنهج الإثنوغرافي المقاربة المناسبة لتحليل ودراسة العلاقات الافتراضية بين العديد من مستخدمي خدمات مجتمع المعلومات ، وهو الأمر الذي أدى إلى العمل به إجرائيا خلال فترة إعادة تشكيل الطرق التقليدية، وذلك بالنظر إليه كوسيلة لرصد وتحليل وكذا تفسير ومناقشة إشكاليات الظواهر في الدراسات الجديدة، في سياق مجال المجتمعات الافتراضية وخدمات الإنترنت والشبكة العنكبوتية، والتحول الأساسي الذي تشهده في هذا الصدد، هو الانتقال من دراسة "الأماكن الطبيعية" وصولا الى "الأماكن الافتراضية"، مما يعني ضرورة تغيير الأساليب والأدوات التي كانت مستخدمة سلفا من أجل فهم آراء ومواقف الباحثين والدارسين للنتائج التكنولوجية الجديدة. وما يجب الإشارة اليه هو أن جِدّة وأصالة الدراسات الإثنوغرافية المرتبطة بالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال مازال يُبقِي مقارباتها المنهجية في دائرة الاختبار والتكييف، وهذا للوصول إلى طرح علمي يُسْهِم في تشخيص الظواهر الإعلامية والاتصالية الراهنة؛ التي تعد جزءً مهما من الظواهر الاجتماعية المرتبطة أساساً بالمجتمعات المنتقلة من السياق الطبيعي إلى الإطار الافتراضي.

الكلمات المفتاحية: الإثنوغرافيا، تكنولوجيات الإعلام والاتصال، المجتمع الافتراضي، الوسائط الجديدة

Abstract:

We aim through this research paper to dissect the most important developments in the field of information and communication technologies or what is called new media, which contributed significantly to the emergence of a new research approach that have been introduced in the field of information and communication studies, This approach has been called the concept of "virtual ethnography", where The Ethnographic approach was considered as the appropriate tool for analyzing and studying the hypothetical relationships between many users of information society services, which led to working with it procedurally during the period of reconfiguring the traditional methods, and looking at it as a way to monitor and analyze as well as interpreting and discussing the problematic phenomenon in the new studies in the context of the virtual societies, the internet services, the world wide web, and the fundamental transformation we are witnessing in this regard, by moving from the study of "natural places" to "virtual places", which means the necessity of changing the methods and tools that were used previously in order to understand the opinions and positions of researchers and learners of the results of new technology. And what must be pointed out is that the novelty and originality of ethnographic studies related to new technologies for information and communication is still keeping their methodological approaches in the testing and conditioning circle, and this is to reach a scientific discourse that contributes to the diagnosis of current information and communication phenomena that are an important part of social phenomena related mainly to societies moving from the natural context to the virtual framework.

Keywords: *Ethnography, Information and communication technologies, New media, Virtual community*

* المؤلف المرسل

مقدمة

عكف مجموعة من الباحثين والأكاديميين في إطار الجدّة والأصالة إلى دراسة الظواهر الاجتماعية من خلال تشريح التطورات التي شهدها مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال ، والكشف عن أطروحات جديدة ساهمت في ظهور نوع جديد من ا لمقاربات البحثية أطلق عليه مفهوم "الإثنوغرافيا الافتراضية"، نتيجة استقراء هؤلاء الدّارسين لضرورة استخدامهوإقحامه في حقل الدراسات الإعلامية والاتصالية الرّاهنة، وذلك من أجل دراسة العلاقات الافتراضية بين مستخدمي خِدمات شبكة الإنترنت.

إن التغيير الأساسي الذي نشهده في هذا السياق هو التطوّر المعرفي الذي يهدف لتشخيص الانتقال من دراسة "الأماكن الطبيعية" إلى دراسة "الأماكن الافتراضية"؛ الأمر الذي أدى إلى إعادة النّظر في استخدام الأساليب والأدوات البحثيّة المألوفة ، وهذا حتّى يتمّ تيسير عملية جمع البيانات المناسبة و رصدها الميداني وصولاً لتحليل ومناقشة وكذا تفسير النتائج التي تسفر عليها دراسة الظّاهرة ، حتّى يتمكّن الباحثون من فهم الظّواهر التّكنولوجية الجديدة. من ه ذا المنطلق سنحاول في هذا المقال الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي:كيف يتمّ استخدام الإثنوغرافيا الافتراضية كمقاربة منهجية كيفية في دراسة مواضيع وسائط الإعلام والاتصال الجديدة؟

أولا: ظهور الإثنوغرافيا الافتراضية ونشأتها

إن التّطورات التي شهدها مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال ساهم في ظهور نوع جديد من الإثنوغرافيا، وإدخاله لمجال الدّراسات الإعلامية والاتصالية، هذا النّوع أطلق عليه مصطلح الإثنوغرافيا الافتراضية (Virtual Ethnography)، حيث اعتُبِر المنهج الإثنوغرافي مناسباً لدراسة العلاقات الافتراضية بين مستخدمي خِدْمات شبكة الإنترنت كمنطلق، لذلك يتمّ العمل منذ مدّة على إعادة تشكيل الطّرق التّقليدية لاستخدام المنهج الإثنوغرافي، حتّى تناسب الدّراسات الجديدة في مجالات الشّبكات، المجتمعات الافتراضية وخِدمات الإنترنت والشبكة العنكبوتية، والتحوّل الأساسي الذي نشهده في هذا الصّدد هو الانتقال من دراسة "الأماكن الحقيقية" إلى دراسة "الأماكن الافتراضية" (M. Na'amneh, 2009, p. 174)، مَا يعني ضرورة تغيّر الخطوات، الأساليب والأدوات التي كانت موجودة من قبل، حتّى تصبح ناجعة ومفيدة من أجل فهم الباحثين للظواهر التكنولوجية الجديدة.

ويطلق على المقاربة الإثنوغرافية لدراسة مستخدمي الوسائط الجديدة عدّة مصطلحات منها "Cyberspace Ethnography"(M. Na'amneh, 2009, p. 174) التي يمكن أن تفسر ترجمته عن إثنوغرافيا الفضاء الإلكتروني و مصطلح "Digital Ethnography"(Charnet & Veyrier, 2008, p. 32) تعبر عن الإثنوغرافيا الرّقمية، التي يمكن تسميتها أيضا "Webnography"(Evans, 2010, p. 11) عن إثنوغرافيا الويب، و سمّيت كذلك بـ "Netnography" التي تؤكد ما يسمى بإثنوغرافيا الشّبكات، بما فيها إثنوغرافيا الإنترنت التي يُطلق عليها تسمية "Internet Ethnography"(Hair & Clark, 2003, p. 3)، كما يطلق على البحث الإثنوغرافي لشبكات التّواصل الاجتماعي "Social Media Ethnography"(Postill & Pink, 2012, p. 123).

إن تعدد التسميات والغوص في معناها سببه في هذا المضمار يعود الى مجال استخدام كلّ نوع من الطّرق الإثنوغرافية التي سبق ذكرها، رغم أنّ المجالات البحثيّة لبعضها تعتبر متداخلة إلى درجة يصعب التمييز بين حدودها، مما يجعلنا نفترض نظريّا بأن الخطوات العلمية والمنهجية لهذه الطّرق الإثنوغرافية تعتبر متشابهة إلى حدّ كبير، بل تكاد تكون متطابقة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار بأنّ أصلها واحد وهو المنهج الإثنوغرافي التّقليدي كما عُرِف في علم الأنثروبولوجيا، ثم إن جِدّة الدّراسات الإثنوغرافية المرتبطة

بالتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال وحداثة ظهورها مازال يُبقي مقارباتها المنهجية في دائرة الاختبار والتكييف حتى تصل إلى مرحلة التغيّر النّهائي، وتنسجم بشكل كامل مع دراسة الظّواهر الإعلاميّة و الاتصالية الجديدة التي تعتبر جزءا مهما في الظواهر الاجتماعية المرتبطة أساسا بالمجتمعات التي تتحول من المجال الواقعيّ الطّبيعيّ إلى المجال الافتراضي.

للإشارة، يجب أن نوضح بأنّ الإثنوغرافيا تُستخدَم ضمن نوعين متباينين في دراسات الظّواهر التّكنولوجية الجديدة في حقل الإعلام والاتصال، إذن فالباحثان علي قسايسية وعبد اللطيف بوزير أشارا في مداخلة علمية مضمونها يتمحور حول الدّراسات الإثنوغرافية ويشيرون أن " *الدّراسات الإثنوغرافية في الفضاء الافتراضي تمكن من جمع المعطيات حول السّلوكيات، المعتقدات، التّمثّلات الثّقافية، الدّوافع والتأويلات الخاصّة بالأفراد انطلاقا من واقعهم الفيزيائي بتفاعلاتهم وعلاقاتهم بالأجهزة التقنية والاتصالية التي يستخدمونها، أو انطلاقا من الواقع الافتراضي النّاتج عن دخول الأفراد والجماعات في علاقات اتصالية افتراضية شبكيّة عن طريق استخدام وسائط الإعلام والاتصال الجديدة* "(قسايسية و بوزير، إثنوغرافيا مستخدمي الوسائط الإعلامية والاتصالية الجديدة: رهانات البحوث الاجتماعية النوعية على الخط، 2015، صفحة 101)، لهذا الأساس يمكن القول بأنه توجد دراسات إثنوغرافية تهتم بعلاقة المستخدمين مع الأجهزة التّقنية والاتصالية الجديدة، وحتّى تفاعلاتهم معها، يتمّ إجراؤها في الواقع الطّبيعي، وتستخدم فيها غالبا الأدوات والأساليب البحثيّة التّقليدية، كما توجد دّراسات الإثنوغرافية أخرى تهتمّ أساسا بفهم علاقات الأفراد و سلوكياتهم وتفاعلاتهم في سياق المجتمعات الافتراضية التي يندمجون فيها بواسطة وسائل الإعلام والاتصال الجديدة، هذه الفكرة تدفعنا الى التركيز على ضرورة إعادة النّظر في الأسباب الكامنة وراء جمع هذين النّوعين واعتبارهما في مستوى واحد من درجة الأهمية والقدرة التي يمكن بواسطتها فهم الفضاءات الاتصالية الافتراضية، وما تشكله من مجتمع البحث المتعلق بالأفراد ومجتمعات و كيفية التفاعل فيما بينهما. والجدير بالذكر أن الحديث عن إثنوغرافيا الفضاء الإلكترونيّ يحتم التعامل من النّاحية النّظرية مع الزّمن، المكان، اللّغة، الثّقافات والمؤسسات باختلاف فروعها ونشاطاتها، باعتبارها تعالج العديد من الثغرات والفجوات المنهجية التي لها علاقة بدقّة البيانات التي يتمّ جمعها، وعدم كشف مستخدم الإنترنت عن هويته الحقيقية، أو جنسه، أو حالته الاجتماعية، أو ما يسمى الأسماء المستعارة.

إن المتمعن في هذا الفحوى يتوصل الى نتيجة مفادها أن نطاق المشاهدة محدود جدّا، نظرا لعدم وجود السّياق المادّي الذي يحدث فيه التّفاعل وبعد المسافة بين الأشخاص، وهو ما يفوّت على الباحث فرصة دراسة أمور أخرى مهمّة مثل طريقة التّحدث ولغة الجسد وتعبيرات الوجه، وللتغلب على هذه المشاكل يحتاج الباحث الإثنوغرافي لإعداد إجراءات منهجية مفصّلة ومنتظمة مع المواضيع التي يقوم بدراستها (M. Na'amneh, 2009, p. 175)، فيكون لكلّ موضوع مميزات ينفرد بها من حيث نوعية الأفراد، طبيعة المجتمع، مجال الفضاء الاتصالي، الأفعال والتفاعلات والسلوكيات المحدّدة، وحتّى المناخ الذي سيتمّ فيه إجراء الدّراسة، لذلك ينبغي على الباحث -بعد ضبط الموضوع- أن يقوم بإعداد خطّة منهجية متكاملة تنطلق من مميزاته وخصوصياته حتّى يمكن الوصول إلى أدقّ النتائج الممكنة، وبالتالي تحقيق فهم أعمق للظّاهرة الاتصالية المدروسة.

ثانيا: مفهوم الإثنوغرافيا الافتراضية (Virtual Ethnography)

يقصد بالإثنوغرافيا حسب الباحث ستيوارت باول بايت Stuart-Paul Bate: هي في وصفها العام تنطوي على مشاركة الباحث الإثنوغرافي لحياة الناس علنا أو سرّا، لفترة طويلة من الزمن من أجل مراقبة

ومشاهدة ما يحدث بينهم (Hair & Clark, 2003, p. 3). وهذا المفهوم يوضّح لنا بأن الإثنوغرافيا تشمل كلّ مشاركة لمجموعة من الأفراد في فترة من حياتهم، بهدف علمي اعتمادا على أدوات وأساليب مناسبة لجمع البيانات واستنتاج المعلومات، دون ارتباط بعلم أو تخصّص ومن غير تقييد لطريقة العمل وخطواته، أما المقاربة الإثنوغرافية فيتمّ تناولها كمنهج نوعيّ على اعتبارها "وصف منظّم للسّلوك البشريّ والثّقافة السّائدة في التّنظيم الاجتماعي، باستخدام الملاحظة بالمشاركة"، وهي تستخدم الاستقراء (التّصاعدي)، التّفاعل (الانخراط) والتّكرار (الدورية) كاستراتيجيات للتّحليل مع الاعتمادعلى أساليب مختلفة لجمع البيانات(Charnet & Veyrier, 2008, p. 32).

ونحن كباحثين في مجال الإعلام نعتبر الإثنوغرافيا مقاربة منهجية في الدّراسات الإعلامية والاتصالية، لأنّها في الأصل تعدّ مقدّمة للعمل الإثنولوجي من جهة أخرى، حيث تمثّل جانباً من هذه الدّراسة التي ليست عِلْماً مستقلاً، تعمل على تسجيل المادة الثّقافية من الميدان، أي تقوم بوصف أوجه النّشاط الثقافي البشري، ولا تسعى الإثنوغرافيا إلى"التقويم"وإنّما تتوقف عند تقديم صورة واقعية وتقريرية للأمور الحياتيّة لمجتمع ما خلال فترة زمنية معينة (بوطقوقة، 2010). فكلّ هذه المميزات نجدها تقدّم بديلا منهجيا مناسبا لإجراء الدّراسات العلميّة، ضمن مختلف سياقاتها التي تُؤخَذ بعين الاعتبار، وتتميّز بتكيّفها مع التّطوّرات الاجتماعية وتغيّراتها، لذلك يمكن أن نعتبر الإثنوغرافيا مصدر تطوير "المقاربة التي تأخذ بعين الاعتبار أثر التّكنولوجيات في البيئات الاجتماعية والثّقافية المحلّية، والكيفية التي تستعمل فيها الخصوصيّات الثّقافية المحلية هذه التكنولوجيات."(قسايسية، المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي، 2007، صفحة 234) حيث يندرج ذلك ضمن التّوصيات التي خرج بها الباحث علي قسايسية حول مشروع مقاربة بديلة لدراسات الجمهور في الجزائر التي تتلاءم والأسس العامّة والمحليّة الخاصّة بالمجتمع الجزائريّ، ونضيف على ذلك أنّ المقاربة البديلة "الإثنوغرافيا الافتراضية " قد ظهرت منذ فترة تصل لعقدين من الزمن في الدول الغربية المتطوّرة، رغم أن تكييفها وتطويرها مازال لم يكتمل، بينما في الدول العربية تبنّى الباحثون الإثنوغرافيا الافتراضية كمقاربة منهجية متأخرين في عدد قليل من الدّراسات وأغلبها يميل للبحوث الوثائقيّة النّظرية موازاة بإهمال البحوث الميدانية التطبيقية، وهذا ما استنتجناه من خلال القراءات العديدة، والمكثّفة للأدبيات السّابقة. كان هذا منطلقا نظريّاً مهمّاً، يساعد في الوصول إلى تحديد مفهوم الإثنوغرافيا الافتراضية، حسبما هو مدون في أطروحات ودراسات العديد من الباحثين والأكاديميين الذين تناولوا هذا الموضوع بالتحليل والشرح.

• تحديد المفهوم:

إن تحديد المفهوم يجرنا بالضرورة إلى لحديث عن تحليل وتفسير كيفية تداول الإثنوغرافيا الافتراضية علميّا وعلاقاتها بفكرة "الإثنوغرافيا على الإنترنت"، فهناك من يعتبرها بمثابة منهج نوعي لجمع البيانات في هذه المجتمعات الافتراضية، الهدف منه هو النّظر إلى التّقديرات والتّصنيفات في محاولة لكشف أسباب أعمق للسّلوكيات والمشاعر، كما يحاول العثور على إجابات للسّؤال "لماذا؟"، ولتقدم الإثنوغرافيا عبر الإنترنت نتائج علميّة يجب أن تستخدم في مجتمعات معيّنة، ومع تكنولوجيات اتصالية محدّدة (Skågeby, 2011, p. 411). هذا المفهوم يجعلنا نستوعب إمكانية الدّراسات الإثنوغرافية عبر الإنترنت أن تصف حياة الأشخاص وقيمهم التي يتبنونها خلال تفاعلاتهم ضمن المجتمعات الافتراضية، وفهمها على نحو أفضل باستخدام الملاحظة والتّحليل عن قرب لأشخاص محدّدين، تكنولوجيات محدّدة، وأوقات زمنية محدّدة بغضّ النّظر عن الحدود المكانية التي تكون غالبا متباعدة.

عموما لا تندمج الإثنوغرافيا بشكل صريح مع أساليب علمية محدّدة، لكن غالبا ما تكون الأساليب والطّرق المستخدمة فيها ذات طبيعة نوعية، لذلك تتكوّن الإثنوغرافيا الافتراضية من عمليات الملاحظة

والمقابلات مع المبحوثين عبر الإنترنت، حيث تستهدف الملاحظة استكشاف مجال الموقع الإلكتروني (البديل للمجال الجغرافي)، اختيار المشاركين ثم متابعتهم ضمن المجتمع الموجود عبر الخطّ، فيقوم الباحث في هذه المرحلة بزيارة هذا المجتمع يوميا في غضون فترة محدّدة من أجل رصد، تقصي ومراقبة كلّ التفاعلات التي تتمّ مع تحميل الرّسائل، الصّور ومقاطع الفيديو ذات الصّلة ببيئة التفاعل، بعد انتهاء فترة الملاحظة يقوم الباحث بإجراء المقابلات مع المشاركين باستخدام عدّة وسائل مثل البريد الإلكتروني، غرف الدردشة، الهاتف، السكايب ...إلخ(Wijaya & and others, 2013, p. 1).

أمّا موضوع التّزامنية في البحث، إن كان الباحث الإثنوغرافي في المجتمعات الطبيعية يعتمد على تقنيات الملاحظة العلمية الدّقيقة، والمقابلات المكثفة لتسجيل الديناميكيات السّلوكية (Hair & Clark, 2003, p. 3)، فالباحث الإثنوغرافي في المجتمعات الافتراضية يمكنه أن يستخدم الملاحظة بالمشاركة المباشِرة ميدانيا في سياق لم يقم بتغييره، حيث تكون تلك الملاحظة متزامنة مع حدوث الظّاهرة ، مما يسمح بالتّحكم في تعقيد العمليات الاجتماعية والوصول إلى فهمها من خلال تحليل البيانات المرتبطة بالتّفاعل الاجتماعي الجزئي MicroSociological(Charnet & Veyrier, 2008, p. 32).

• طرق تطبيق الإثنوغرافيا الافتراضية

توجد طريقتين لإجراء البحوث الإثنوغرافية عبر الإنترنت:

- تقييم المصادر المتعلّقة بالتفاعل مثل النّصوص، الصّور، الرّموز التّعبيرية... من خلال مراقبتها عن بعد "دون الحاجة لمشاركة الباحث" ضمن التّفاعلات الاجتماعية في الفضاء الاتصالي على الإنترنت.

- مشاركة الباحث ضمن البيئة الاتصالية التي يقوم بدراستها، ورغم أنّها قد تؤثّر على موضوعية البحث إلا أنّها تساعد على فهم أفضل للتّفاعلات التي تحدث بين المستخدمين(Evans, 2010, pp. 12-13).

الطريقتان المذكورتان سابقا توضح الأطر العامة لإجراء أي بحث إثنوغرافي افتراضي، وقد نفهم منهما أنّ الباحث في الطّريقة الأولى لا يكون له أيّ أثر ضمن فضاء التّفاعل بحيث يؤدّي دور الملاحِظ عن بعد، للفضاء الاتصالي والتفاعلات التي تحدث فيه، والآثار الرّقمية التي يتركها المستخدمون من خلاله (نصوص، صور، مقاطع فيديو، رموز تعبيرية و مجموعة من الوسائط ...إلخ)، بينما في الطّريقة الثّانية يكون الباحث مشاركا في التّفاعلات التي تحدث ضمن الفضاء الاتصالي، لفهمها بشكل أفضل ضمن سياقها الموضوعيّ والزمنيّ رغم إشكالية موضوعية النتائج التي يتمّ الوصول إليها، لكن نرى في الطّريقة الأولى أنّه تمّ إهمال عنصر التّزامنية الذي يشكل ميزة جديدة في البحوث الإثنوغرافية الافتراضية، لأنّ الباحث يمكن أن يقوم بعمليات الملاحظة دون مشاركة في أثناء حدوث التّفاعلات في الفضاء الاتصالي تزامنيا، فيتلقّى على الفور كلّ آثار التّفاعل، ويسجّل منها ما يرتبط بموضوعه ثم يقوم بتحليلها، كما يمكنه أن يقوم بعمليات الملاحظة بعد انتهاء التّفاعلات في الفضاءات الاتصالية التي تتميّز بحفظ آثار التّفاعل لفترات طويلة أو دائمة، وهو ما يعني في جوهرها عن عدم المشاركة، كما يمكن الإشارة إلى الجانب الأخلاقيّ في معرفة المستخدمين المبحوثين لهدف الباحث من مشاركته في تفاعلاتهم، سواء في الطّريقة الأولى أو الطريقة الثّانية بالخصوص، فكلّ هذه الملاحظات تبيّن لنا أنّ طرق إجراء البحوث الإثنوغرافية مازالت غير مصنّفة بشكل دقيق ويمكن تحديد طرق أخرى إذا ما استمرت البحوث الإثنوغرافية الافتراضية في التّوسع والتّطور.

ثالثا: مبادئ الإثنوغرافيا الافتراضية

بعد البحث (Virtual Ethnography and Internet Events: the Louise Woodward Case) الذي أجرته الباحثة كريستين هاين " Christine Hine" طوّرت عشرة مبادئ للإثنوغرافيا الافتراضية، يمكن أن نقتبسها على أساس عدم وجود نقد علمي لها لحدّ الآن وإرفاق كلّ مبدأ منها بتحليل مقتضب، وهي كالتالي:

1/ يمكن استخدام الإثنوغرافيا للتّحقيق في الطّرق التي يصبح بها استخدام الإنترنت ذا مغزى اجتماعي. وهذا ما يعني فعليّاً وجود أهداف اجتماعية متعدّدة لاستخدام الإنترنت تستحق الاهتمام العلميّ من خلال إجراء البحوث والدّراسات الإثنوغرافية مثلا.

2/ يمكن فهم الوسائط التّفاعلية، مثل الإنترنت على أنّها ثقافة وآثار بشرية ثقافيّة أيضا. والمقصود من ذلك أنّ شبكة الإنترنت أصبحت حاوية لمختلف الثّقافات التي ترتبط بالمجتمعات الإنسانية، ويتمّ تقديم هذه الثّقافات في كثير من الأحيان على شكل مواد ومنتجات ذات قيمة ثقافية معلوماتية ومادية تجعلها في موضع العرض والطّلب.

3/ الإثنوغرافيا التي تدرس التّفاعل عبر الوسائط، غالباً ما تتطلّب من الباحثين أن يكونوا متنقّلين افتراضياً وفيزيائيّاً، وهذا له ارتباط وثيق بطرق إجراء الدّراسات الإثنوغرافية، فالتّنقل الافتراضي يتمّ الاحتياج له في الدّراسات التي تستهدف فهم طرق التّواصل وأشكال التفاعل ضمن المجتمعات الافتراضية، أمّا التّنقل الفيزيائي، فيتمّ الاحتياج له في الدّراسات التي تستهدف فهم كيفية استخدام وسائط الاتصال الجديدة والتّفاعل معها ضمن المجتمعات الواقعيّة.

4/ بدلاً من الذّهاب إلى مواقع ميدانية معيّنة، يتمّ الاعتماد على الاتصالات الميدانية في الإثنوغرافيا الافتراضية. ممّا يعني بأنّ الباحث ليس مضطرّاً للذّهاب إلى أماكن معيّنة عند إجراء دراسة إثنوغرافية افتراضية، حيث يمكنه الاكتفاء بإجراءات اتصالات إلكترونية مع الأشخاص المرتبطين بالبحث لجمع البيانات أو إجراء المقابلات ...إلخ.

5/ الحدود خصوصا بين ما هو " افتراضي "و"حقيق ي"، لا يجب أن تكون محسومة. ممّا يشير إلى التّداخل الدائم بين المجال الطّبيعي والمجال الافتراضي، ولا يمكن الفصل بينهما عند إجراء الدّراسات الإثنوغرافية.

6/ الإثنوغرافيا الافتراضية هي عملية المشاركة المتقطّعة، وليس الانغماس على المدى الطّويل. ويدلّ هذا على أنّ الاندماج في العالم الافتراضي بالنّسبة لأيّ مستخدم، يكون خلال فترات زمنيّة محدودة من اليوم، وهو ما يجب أن يسايره المبحوث في أثناء إجرائه لبحث إثنوغرافي افتراضيّ.

7/ الإثنوغرافيا الافتراضية تعتبر جزئية بالضّرورة، يمكن أن تستند حساباتنا فيها إلى الاهتمام الاستراتيجي بمسائل بحثية معينة بدلاً من إعادة تقديم موثوقة للحقائق الموضوعيّة، معنى ذلك أن نتائج البحث الإثنوغرافي الافتراضي ترتبط فقط بالعينة التي تمت دراستها ولا يمكن تعميمها، مع إمكانية الانطلاق في البحث من إطار نظريّ يبنيه الباحث من خلال مكتسباته العلمية ومعرفته حول الموضوع للتّحليل والوصول إلى النّتائج.

8/ إنَّ الاندماج المكثّف مع التّفاعل الوسيط يضيف بعداً انعكاسيا مهمّاً للإثنوغرافيا. فهذه الأخيرة تزداد أهمية استخدامها في البحوث المرتبطة بالمجتمعات الافتراضية، كلّما زاد اندماج المستخدمين فيها وزاد حجم التّفاعل بينهم باستخدام وسائط الاتصال.

9/ هذه هي الإثنوغرافيا، من خلال المجال الافتراضي نتعرف على الإنترنت عن طريق غمر أنفسنا فيها، وإجرائنا للإثنوغرافيا باستخدامها، وكذلك التّحدّث مع النّاس عنها، ومشاهدة استخدامها ورؤيتها بوضوح في الأوضاع

الاجتماعية المختلفة. دلالة هذه الاستنتاجات هي أنَّ الإثنوغرافيا أصبحت ضرورة منهجيّة لاستكشاف الإنترنت أكثر، وفهم ما يحتويه من مجتمعات وتفاعلات.

10/ الإثنوغرافيا الافتراضية في نهاية المطاف، هي إثنوغرافيا تكيفية تحدّد ما يتناسب منها مع الظّروف التي تجد نفسها فيها. وهذا إشارة إلى أنّالإثنوغرافيا الافتراضية تتعامل مع أنواع مختلفة من الوسائط الاتصالية، المجتمعات والتّفاعلات ... إلخ ممّا يستوجب ضبط منهجيّ للإثنوغرافيا حسب كل موضوع ومميزاته المختلفة(Evans, 2010, p. 5).

رابعا: أهداف استخدام الإثنوغرافيا الافتراضية

رغم أنّ التركيز على الإثنوغرافيا الافتراضية في بحوث الإعلام والاتصال ما يزال في مراحله الأولى، إلّا أنّ ذلك لم يمنع المتخصّصين من صياغة أهداف لاستخدامها كمقاربة منهجية، لعل أبرزها ما يلي:

- تطمح إلى تقديم فهم عميق ومميّز حول أهمية الإنترنت وآثار استخدامها، وهي تعتبر بذلك -كمثيلتها التقليدية- شكلا من أشكال الأنثروبولوجيا السّوسيوثقافية.
- تساعد في تحديد مختلف ديناميكيات العلاقات النّاجحة ضمن المجتمعات الافتراضية على الإنترنت مع تعميق الفهم النّظري لها.(Hair & Clark, 2003, p. 3)
- تمكّن من استكشاف العلاقات الرقمية القائمة بين المستخدمين في شبكات الأجهزة الإلكترونية.
- تساعد المجتمعات الافتراضية، الرقمية والإلكترونية في تطوير بيئة تواصل عبر مختلف الشّبكات ذات مستويات أعلى من المشاركة والثّقة والالتزام.(Hair & Clark, 2003, p. 2)
- الوصول إلى نتائج إثنوغرافية كثيفة، بدلا من تسجيل معلومات إثنوغرافية موضوعيّة وصفية جافّة وسطحية ليكون التّفسير و الفهم التّأويلي هما المصدران الرئيسَان في إثبات وجود واقع ذي تحوّل مستمرّ، ضمن العالم "الاجتماعي والثّقافي" الافتراضي(Nocera, 2002).

خامسا: شروط وإجراءات لاحترام أخلاقيات البحث الإثنوغرافي

إنمن أبرز التّحديات التي كان يواجهها الباحث الإثنوغرافي عند إجراء دراسة ميدانية على مجموعة من الأفراد ضمن سياقهم الاجتماعي هو الالتزام بأخلاقيات البحث العلميّ ، حتى لا يشكّل نشاط الباحث مشكلة أو ضررا لأيّ شخص له صلة بالبحث، وبانتشاراستخدام الإثنوغرافيا الافتراضية ، تعقدت تلك الأخلاقيات أكثر بسبب طبيعة المجال الشّبكيّ الافتراضي الذي جعل سلامة الخصوصيّة أمرا بالغ الأهمية، فصار الالتزام بأخلاقيات البحث العلميّ أكثر صعوبة، لذلك تمّ تقديم إجراءاتٍ يمكن أن نعتبرها تمثّل الشّروط الأدنى لعدم انتهاك أخلاقيات البحث الإثنوغرافي والوصول إلى نتائج تحظى بالقبول العلميّ وهي كالتّالي:

- ضرورة اتصال الباحث بمسؤول/ممثّل المجتمع الافتراضي لطلب الموافقة حول إجراء البحث من خلال تقديم فكرة عامّة حول موضوعه وأهدافه حتّى يتمّ نشر ذلك لجميع أفراد المجتمع.
- تصميم استمارة طلب للمشاركة ونشرها في المجتمع الافتراضي مع كتابة معلومات التّواصل مثل عنوان البريد الإلكتروني. وينبغي أن توضّح هذه الاستمارة طريقة العمل التي سيتبعها الباحث ضمن بحثه حتّى يفهم المستخدمون كلّ التّفاصيل المهمّة وينضم الرّاغبون للبحث باقتناع.
- طلب الإذن من مسؤول/ممثّل المجتمع الافتراضي الذي سيتمّ إجراء البحث ضمن سياقه ، حتّى يتمكّن الباحث من الانضمام إليه، ومراقبته خلال فترة إنجاز البحث.

- القدرة على إدارة بيانات البحث خصوصا من حيث الحفاظ على سرّيّة المشاركين وخصوصيّة بياناتهم الشّخصية وحفظ البيانات البحثيّة واستخدامها في التّوصل للنّتائج(Wijaya & and others, 2013, pp. 2-3) ويمكن الاطّلاع على تحليل الإثنوغرافيا الافتراضية كمنهجية بحثيّة من خلال الجدول التّالي:

الجدول 01:الفائدة من استخدام الملاحظة والمقابلة ضمن البحث الإثنوغرافي الافتراضي

مراحل البحث الإثنوغرافي الافتراضي	الوصف	المسؤوليات المحددة
الملاحظة عبر الخط	استئذان الباحث للانضمام إلى المجتمع المتواجد عبر الخطّ ثمّ تحديد المشاركين المناسبين ليكونوا ضمن المبحوثين، مراقبة التفاعلات من خلال تحميل الرّسائل، الصّور ومقاطع الفيديو ... إلخ	•الحاجة للحصول على موافقة مسؤول/ممثّل المجتمع الم وجود عبر الإنترنت من أجل مراقبته. •الموافقة المسبقة من قبل المشاركين في المجتمع للانضمام إلى البحث. •حماية سرّية المشاركين وخصوصيّاتهم. •رصد الأثر على المجتمع قدر الإمكان.
المقابلات عبر الخط	يتمّ إجراء المقابلات مع المبحوثين وفقا لموضوع البحث والمجتمع الذي ينتمون إليه.	•حماية سرّيّة المشاركين وخصوصيّاتهم. •إعطاء الفرصة لمراجعة وتأكيد أيّ تعليق أو إجابة للمشاركين.

المصدر:(Wijaya & and others, 2013, p. 4)

سادسا: تحديات استخدام المنهج الإثنوغرافي الافتراضي

لقد شكّلت محاولات تكييف المنهج الإثنوغرافي مع البحث على أساس المجتمعات الافتراضية واستخدامه في استكشاف الظّواهر الاتصالية الرّقمية الجديدة من خلال ظهور عدّة تحدّيات لا تزال تفرض وجودها لحد الآن، رغم العمل المتواصل من أجل تجاوزها ومن أبرز هذه التّحدّيات:

- إجراء البحث الإثنوغرافي الافتراضي رغم التّحرر من مشاركة المبحوثين لفضائهم الاتصالي الذي يشكل تحدّيا منهجيا مرتبطا بالقدرة على جمع المعلومات الدّقيقة والكافية.

- تحديد الطّريقة المناسبة لاستجواب المبحوثين بغية الحصول على المعرفة الحقيقيّة، يعتبر تحديّاً مستمرّاً بسبب عدم قدرة أيّ أسلوب يتمّ استخدامه منفردا على تحقيق ذلك، فيكون من الضّروريّ تنوّع الطّرق حسب الاحتياج.

- تجاوز المخاوف الأخلاقية في أثناء إنجاز البحث الإثنوغرافي، بالحفاظ على سرّية المعلومات الشّخصية للمبحوثين وعدم التّعدّي على خصوصيّاتهم(Hair & Clark, 2003, p. 2)، فبالرغم من أنّ هذا البحث يُجرى في فضاء افتراضي يتضمّن أشخاصا افتراضيين، لكنّ نشر معلوماتهم قد يجلب الضّرر لأشخاص حقيقيين يمثّلون أصل الشّخصيات الافتراضية، ويؤثّر على حياتهم الخاصّة.(Hine, 1994, p. 9)

- تطويع السّمات التّقليدية للإثنوغرافيا، من أجل دراسة الثّقافات والممارسات عند ظهورها من خلال النّص فقط عبر الوسائط الاتصالية للحاسوب (Hair & Clark, 2003, p. 3) أو غيره من الوسائط المتعدّدة وهذا ما يجده الباحثون صعبا، بسبب غموض عدّة جوانب من الثّقافة والسّلوك في الفضاءات الاتصالية الافتراضية.

- ردّ فعل المبحوثين ومدى مشاركتهم في جدول أعمال الباحث، في ظل غياب الاتصال المألوف له بالمعنى المادّيّ(Hair & Clark, 2003, p. 11) ويعبّر عن عدم استقرار الثّقة في الإجراءات البحثيّة والنّتائج التي يتمّ التّوصّل لها.

سابعا: الإجراءات المنهجية للإثنوغرافيا الافتراضية النقدية

- تحديد المجتمعات النّشطة (IdentifyProactive Communities)

عموما قد يتعرّض الباحثون لبعض العراقيل عند محاولة الدّخول إلى مجتمعات افتراضية، فالخطوة الأوّلى والمهمّة هي التّواصل مع مالكي المجتمع أو المسؤولين/المشرفين عليه وتوضيح نشاط البحث لهم لمراعاة جوانب الخصوصيّة، رغم ذلك يعتبر التّحدّي الأكبر هو تجاوب أعضاء المجتمع الافتراضي مع المشروع البحثيّ وتقديم الدّعم المطلوب منهم، ما يضمن أكبر قدر من التّجاوب والدّعم هو أن يؤدّي الباحثون دور المتخصّصين الذي يستخدمون الإثنوغرافيا، لدراسة مشكلات الحياة الخاصّة والاجتماعية التي يواجهها المستخدمون أعضاء المجتمعات الافتراضية، بسبب أفراد أو جماعات ذي نشاطات غير مراقبة، وهو ما يقدّم انطباعا بأنّ الباحثين يسعون إلى تحسين المجتمع الافتراضي وجعله أكثر مشاركة للتّفاعل الإيجابي والدّعم الاجتماعي، استنادا إلى هذه التّطلّعات التي تُكسِب الباحث ثقة المجتمع الافتراضي، عادة ما يتمّ إعطاء الإذن من المالكين أو المسؤولين/المشرفين بالانضمام والبدء في إجراءات التّواصل مع الأعضاء، لتوضيح المشروع البحثيّ وأهدافه وتأمين الدّعم من المشاركين الفعليين فيه.

- تفاوض الوصول (NegotiateAccess)

بعد اختيار مجتمع مناسب لإجراء البحث، يمكن في هذه الحالة أن يتّجه الباحث إلى عملية الحصول على تصريحات أفراده لتطبيق بعض أشكال الإثنوغرافيا، حتّى يتمّ تجنّب الرّفض أو المواجهة خلال أيّ مرحلة لاحقة، وحتّى يمكن تفادي الفشل في الحفاظ على المبادئ الأخلاقية الأساسية للبحوث العلمية، ينبغي على كلّ باحث اتّخاذ الخطوات اللّازمة لشرح مشروعه البحثيّ ودوره في تحسين التّواصل وعرض فوائد البحث على المبحوثين، بإعطاء وجهات النّظر النّاقدة والموضوعية، كما يجب أن يتّضح تمحور البحث حول أعضاء المجتمع الافتراضي وتفاعلاتهم ضمنه، ممّا يمكّن الباحث من إجراء طرق الاتصال المناسبة، باستخدام الوسائل الإلكترونية المختلفة بشكل علنيّ، إذا كان يدرس التّفاعلات ضمن المجتمع الافتراضي تزامنيا أو استخدام البريد الإلكتروني إن كان التّواصل شخصيا وغير تزامنيّ، لغرض إجراء المقابلات، وتجدر الإشارة إلى أنَّ المبحوثين المشاركين في البحث لديهم الحرّية في الانسحاب متى أرادوا ذلك دون ذكر السّبب، إذ يجب تذكيرهم بذلك إضافة لأهداف الباحث، ودوره طوال فترة إنجاز البحث.

- التواصل (Contact)

تعتبر الملاحظة العلمية كأداة من الأدوات التي يركز عليها البحث وبالأخص الدراسات الإثنوغرافية، حيث ينتهجها الباحث في معرفة نشاط المستخدمين وثقافتهم على الإنترنت من خلال الكشف عن الأحداث المهمّة التي تحدث يوميا في المجتمعات الافتراضية التي تعتمد بالدرجة الأولى على الوسائط الجديدة للاتصال، إذن فالاقتراب الكبير من هذه الأحداث يسمح بالوصول إلى المشاعر والتّصوّرات غير المتوفّرة بشكل مباشر (مع الاستعانة بطرق أخرى)، وبهذا يمكن تجنّب مشاكل الذّهاب إلى مكان إقامة الأفراد المبحوثين، كما أنّ التّفاعل الذي يحدث في ميدان المجتمع الافتراضي من خلال الملاحظة، سينتج شعورا أكبر بالوعي اتجاه أنماط الصّراع الاجتماعي، ومن ناحية أخرى يجب التّفكير بعمق حول أسباب السّلوكيّات والأحداث التي تمّت ملاحظتها، ممّا يساعد على التّوصل لأدلّة مؤكّدة وأخرى غير مؤكّدة حول ظروف حدوث الظّاهرة المدروسة، ومن الأفضل

كذلك فهم كلّ حالة على حِدَةٍ بعمق قدر الإمكان، أمّا طرق جمع البيانات فمن المنطقيّ أن يستفيد منها الباحث كلّما توسّع في استخدام أنواعها إلى جانب الملاحظة، وقد يكون ذلك محفّزا لتقديم تصوّر"نظرية جديدة"، هذه ليست دعوى لتكون أعمال الباحثين غير منظّمة وممنهجة، لكن يجب أن نضع في عين الاعتبارالاستفادة من تفرّد كلّ حالة خاصّة، واحتمالارتباطها بمواضيع جديدة ونظرية أكثر تمثيلا، لذلك يجب جمع الملاحظات الميدانية مفصّلة خلال فترة البحث التي تحدّد جوانب التّجربة البحثيّة وأدلّتها في شكل مقابلات، اتصالات وحوارات طوال فترة إنجاز البحث.

- المقابلات الإلكترونية المعمقة (ElectronicDepthInterviews)

إن الدارس للممارسات الإثنوغرافية تستخدم عادة المقابلة لتسهيل فهم المعنى، وتستخدم بشكل نقدي المقابلات الحواريّة الأكثر تفاعليّة، كما تستكشف المعاني الخفيّة من خلال استكشاف الموضوع الذي يتحقّق في كلّ مرحلة من مراحل إنجاز البحث قبل إجراء المزيد من التّحليل والنّقد، من ناحية أخرى يجب اعتبار المقابلات غيرِ المنظّمة وشِبْهِ المهيكلة أدواتٍ إضافيّة مساعدة لجمع البيانات والمعلومات، حيث يتمّ إجراؤُها عبر الإنترنت باستخدام أشكال الدّردشة التّزامنية (في الوقت نفسه لتحقيق التّفاعل الآني) أو التّواصل عبر رسائل البريد الإلكتروني اللّاتزامنية (لإعطاء وقت كاف من أجل التّفكير)، وستمثّل آلية مناسبة في إعداد نظريّة غير مكتملة التّكوين لأفراد المجتمع، كجزء من الجانب الهيرمينوطيقي "التّأويلي" للإثنوغرافيا الافتراضية، أمّا في وقتنا الحالي أدرك العديد من الباحثين دور المقابلات غير المنظّمة في استقصاء التّجارب الشّخصية للأفراد، وتنسجم بشكل جيّد مع البحوث النّقدية، وتوافق الآراء يشير إلى أنّ هذه الأدوات تثري فهم الظّواهر من طرف الباحثين، وينطبق هذا على مجال التّفاعل بين الإنسان والحاسب الآلي، خاصّة فيما يتعلّق بدراسة المجتمعات الإلكترونيّة، لذلك اهتمّ عدّة باحثين أبرزهم الباحثة بيث آي. فيري Beth A. Ferriباستكشاف إمكانيات البريد الإلكتروني في تجاوز الحدود بين الباحثين والمبحوثين، وبين المنتجات وعمليات بناء المعرفة، مع اعتماد استراتيجيات جمع ردود المشاركين في البحث، وإزالة البيانات الشّخصيّة التي يمكن أن تعرّف بهم، وإعادة تداول الرّدود بين المبحوثين لمعرفة التّعليقات وردود الأفعال، هذه المقاربة تؤدّي إلى توفير بيانات تفاعليّة، معقّدة وغزيرة غنية بالأفكار، إضافة إلى أنّها طريقة جيّدة لجمع الأفراد وتسهيل البحث التّشاركيّ.

- العودة للنتائج والتّحليلات الخاصّة بالمجتمع (Return ResultsAnd AnalysisTo The Community)

عندما يتمّ تقرير التّوقف عن إجراء الممارسات الإثنوغرافية الافتراضية من مقابلات وتحليل، يضمن الجانب النّقدي للإثنوغرافيا أيّ تطوير للنّظرية والنّتائج التي يتمّ إرجاعها إلى المشاركين في البحث من أجل التّعليق عليها مع إمكانية إعادة العمل لاحقا، وهذا أمر مهمّ وحيويّ، إذا كان العمل البحثيّ يهدف إلى إحداث تغيير تحرّري وتحقيق أهداف تُسهم في تحسين المجتمع المدروس.(Hair & Clark, 2003, pp. 7-10)

ثامنا: منهجية العمل المتبعة في البحوث الإثنوغرافية الافتراضية

إن من أهم جوانب الدّراسة الميدانية لأيّ بحث إثنوغرافي افتراضيّ هو طريقة جمع البيانات التي تعتبر مرحلة حاسمة في نجاحه، لأنّ نجاح هذه المرحلة تمكن من الوصول إلى أدقّ النّتائج وبالتالي تضمن أعلى قيمة علمية ممكنة للبحث من حيث مساهمته في التّراكم المعرفيّ ضمن التّخصّص، لذلك يجب دائما توضيح تفاصيل جمع بيانات أيّ دراسة ميدانيّة من قبل الباحث حتّى يمكن فهم تفاصيلها، تحليلها وتقييمها منهجيّا من أجل معرفة مدى صحّتها وتوافقها مع الموضوع المدروس وعادة ما تكون منهجية العمل المتّبعة حسب تصوّرنا المبني على اختبارات بحثيّة، وتجارب أكاديمية قيّمة في البحث الإثنوغرافي الافتراضي تدخل ضمن إطار النّقاط التّالية:

أ-إجراء دراسة استطلاعيّة

إن الهدف إجراء دراسة استطلاعية هي البحث عن عيّنة الأشخاص المبحوثين المناسبين، وتحديدهم حسب توفّر شروط محدّدة فيهم مسبقا، مع تدوين معلوماتهم الشّخصيّة الضّرورية للدّراسة الميدانية بعد تقديم موضوع البحث لكلّ شخص منهم وتوضيح طريقة العمل معه، ويستحسن في إطار ذلك تجربة أداة جمع البيانات حتّى يكون المبحوث ملمّا بما سيجري معه في إطار البحث ويستعد نفسيّا وذهنيّا للتّعاون مع الباحث وتقديم المعلومات التي يحتاجها، كما يستفيد الباحث من هذه المرحلة في:

- تصميم الاستمارة الأوّلية للأداة (ملاحظة/مقابلة)، ضبط صياغة أسئلتها حتّى تنسجم مع الموضوع.
- معرفة جاهزية المبحوثين لالتزامهم ببرنامج العمل ومدى تعاونهم في تقديم المعلومات المطلوبة.
- تقدير متوسّط الفترة الزّمنيّة اللّازمة الاستخدام الأداة وبرمجتها حسب ما يساعد المبحوثين.

ب-ضبط برنامج زمني لجمع البيانات

إن تحديد برنامج زمنيّ مضبوط ومدروس أمر مهمّ جدّا، حتّى يمكن جمع البيانات الكافية دوريّا، غالبا قد يكون من الصّعب جمعها يوميّا لأسباب عديدة، كالالتزامات الاجتماعية، المهنية وأوقات الرّاحة والخصوصية... إلخ التي تعتبر حقّا لكلّ إنسان، لكن توجد حلول وأفكار تساعد على تجاوز مثل هذه المصاعب، فغالبا ما يكون بالإمكان جمع البيانات مرّة في كلّ يومين على الأقلّ، بل ويمكن جمع بياناتهما دفعة واحدة، لأنّ ذاكرة الإنسان يمكن أن تحتفظ بالمعلومات والأحداث المهمّة أكثر من 24 ساعة دون صعوبة، إذاً البرنامج يحدّد بدءا من الفترة الزّمنيّة الكلّية لجمع البياناتبالأشهر ، وقد يتعدّى إلى سنة أو أكثر في بعض الدّراسات المعمّقة ، ثمّ تحديد الأسابيع فالأيام ضمن كلّ أسبوع يدخل في البرنامج، إضافة إلى تحديد الفترات الصّباحية والمسائيّة مع التّوزيع المناسب للأشخاص المبحوثين حول هذه الفترات، حتّى يتمّ جمع المعلومات منهم بقدر متماثل، ومن المهمّ أيضا الإشارة لتعويض الفترات الزّمنية التي لم يتمكّن الباحث من جمع البيانات فيها بفترات أخرى قدر المستطاع.

ج-جمع البيانات افتراضيّا

إن استخدام أداة جمع بيانات كيفيّة في مجتمع افتراضيّ عبر شبكة رقميّة، يعتبر شرطا أساسيّا حتىّ يتّسم البحث الإثنوغرافي بميزة "الافتراضي"، ينبغي -ربطا بما سبق- الالتزام بالبرنامج الزّمني الذي تمّ إعداده لجمع البيانات والحرص على تدوينها بالطّريقة التي تساعد الباحث، وفي حالة انقطاع البحث بسبب ظروف تتعلّق بالباحث أو ظروف أخرى، خاصّة بالمبحوثين منعتهم من التّواصل كالسّفر أو العمل المكثّف، فيجب تمديد فترة جمع البيانات، كتعويض لفترات الانقطاع التي حدثت، كما أنّ عملية جمع البيانات تكون بالملاحظة العلميّة ضمن مجتمع افتراضيّ (بالمشاركة/بدون مشاركة)، أو المقابلة العلميّة عن طريق التّواصل الإلكتروني، إمّا عبر برامج وتطبيقات الدّردشة أو عبر المكالمات الهاتفيّة إن كانت شبكة الإنترنت غير متوفّرة لدى المبحوث لحظة إجراء المقابلة مثلا.

د-تصنيف وتحليل البيانات

تعتبر مرحلة تصنيف وتحليل البيانات من المراحل النهائية التي توصّل الباحث للنّتائج الخاصّة ببحثه وتبدأ من تصنيف كلّ البيانات التي تمّ جمعها في أقسام ملائمة قادرة على احتواء أيّ معلومة، تمّ تقديمها من طرف المبحوثين، حيث إنّ للباحث نصيباً كبيراً من الاجتهاد في تحديد أقسام التّصنيف، وفروعه حسب حجم البيانات المجمّعة ومحتواها وأهداف البحث، أمّا بعد الانتهاء من عملية التّصنيف، يشرع الباحث في عملية التّحليل الطّولي المعمّق لما تمّ تصنيفه، وربطه بخصائص كلّ فرد من أفراد العيّنة، وتحديد علاقته ببيانات

كلّ واحد منهم، وبالسّياق الذي تمّ فيه جمع البيانات، حتّى يمكن الوصول إلى النّتائج والاستنتاجات العامّة بعد الانتهاء من عملية التحليل، وبذلك يمكن التوصل للإجابة على تساؤلات البحث وإشكاليته.

خاتمة:

ما يمكن أن نستخلصه من فحوى الموضوع هو ظهور الشّكل الجديد للإثنوغرافيا المنسجم مع دراسة المجتمعات الافتراضية، حيث بدأ بالاجتهاد البحثي في محاولة تكييف الطّرق التّقليدية مع سياق الدّراسات المتعدّدة، فنتج عن ذلك ظهور عدّة مصطلحات للإثنوغرافيا "ما بعد المجتمعات الطبيعيّة"، وهو ما جعل الباحثين يفتحون نقاشا واسعا حول ذلك، سعيا لفهم التّغيرات التي طرأت على المجتمعات البشريّة بعد انتقالها للفضاء السيبيراني، مع دراسة الأساليب والأدوات البحثيّة للإثنوغرافيا وتحليلها من أجل تقديم مقترحات حول ما يمكن تغييره وتكييفه حتّى تصبح ملائمة لدراسة المجتمعات الافتراضية، وصولا لفهم الظّواهر الاجتماعية التي تحدث ضمنها وتفسيرها.

ويمكن القول أنّ تطوّر الإثنوغرافيا الافتراضية قد بلغ مراحل متقدمة، بتحديد مفهومها العامّ والاتّفاق عليه، والالتزام بطرق استخدامها تطبيقيّا، والاهتمام بمبادئها وأهدافها واحترام أخلاقياتها، والأهمّ من ذلك هو تقديم الإجراءات العملية لتطبيقها منهجيّا في بحوث الوسائط الجديدة، لكن ينبغي الإشارة إلى أنّ كلّ ما سبق ذكره، لا يعني وصول الشّكل الجديد للإثنوغرافيا إلى مرحلة الاستقرار، بل مازالت تواجهه تحدّيات عديدة، تعتبر وليدة التّطور المتسارع لخِدمات شبكة الإنترنت التي توفّر بيئة التّجمّع الافتراضي للمستخدمين، مثل شبكات التّواصل الاجتماعي وتطبيقات الدّردشة، إضافة إلى اضطراب سياقات المجتمعات الافتراضية وتجدّد ظواهرها الاجتماعية يجعل من الصّعب الوصول لرؤية متكاملة حول الإثنوغرافيا الافتراضية كمنهج نوعيّ والإجماع على التّقيّد بها، أي أنّ عملية تطوير هذا المنهج ستبقى متواصلة، ويمكن للباحثين المساهمة في ذلك بإجراء دراسات يكون الهدف منها أساسا، هو التّوصّل للنقائص والفجوات التي مازالت تعاني منها الإثنوغرافيا الافتراضية، وتقديم حلول مقترحة عنها.

المراجع

- Charnet, C., & Veyrier, C. A. (2008). Virtual ethnography methodology for researching networked learning. *Networked learning in higher education and lifelong learning.* Halkidiki. Retrieved 01 09, 2019, from http://www.networkedlearningconference.org.uk/past/nlc2008/abstracts/PDFs/Charnet_32-37.pdf

- Evans, L. (2010). Authenticity Online: using webnography to address phenomenological concerns. In A. Mousoutzanis, & D. Riha (Eds.), *New Media and the Politics of Online Communities.* Inter-Disciplinary Press. Retrieved 01 09, 2019, from https://www.researchgate.net/profile/Jane_Callaghan/publication/49111496_Virtual_friends_experiences_of_an_online_fan_community/links/0deec52dc50c6977c7000000.pdf

- Hair, N., & Clark, M. (2003). An Enhanced Virtual Ethnography: The Role Of Critical Theory. *Critique and Inclusivity: Opening the Agenda.* Lancaster. Retrieved 01 09, 2019, from http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.133.1904&rep=rep1&type=pdf

- Hine, C. (1994). *Virtual ethnography.* Retrieved 01 17, 2019, from Public Communication of Science and Technology (PCST) Network Website: https://pcst.co/archive/pdf/Hine_PCST1994.pdf

- M. Na'amneh, M. (2009). Rethinking Ethnographic Practice in Anthropology: Challenges and Transformations. *Dirasat Human and Social Sciences, 36*(1).

- Nocera, J. (2002, January). Ethnography and Hermeneutics in Cybercultural Research Accessing Irc Virtual Communities. *Journal of Computer-Mediated Communication, 7*(2). Retrieved 01 31, 2019, from https://academic.oup.com/jcmc/article/7/2/JCMC721/4584263

- Postill, J., & Pink, S. (2012, November). Social media ethnography: The digital researcher in a messy web. *Media International Australia, 145*(01). Retrieved 01 09, 2019, from https://www.dhi.ac.uk/san/waysofbeing/data/data-crone-postill-2012.pdf

- Skågeby, J. (2011). Online Ethnographic Methods: Towards a Qualitative Understanding of Virtual Community Practices. In B. Daniel (Ed.), *Methods and Techniques for Studying Virtual Communities: Paradigms and Phenomena.* SCOPUS.

- Wijaya, S. W., & and others. (2013, August 20). *Addressing Public and Private Issues in a Virtual Ethnography Study of an Open Online Community: a Reflective Paper.* Retrieved 01 22, 2019, from QUT ePrints Website: https://eprints.qut.edu.au/61858/1/Ethics_Issues_Virtual_Ethnography_Online_Community.pdf

- علي قسايسية. (2007). المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي. *أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال*. جامعة الجزائر.

- علي قسايسية، و عبد اللطيف بوزير. (2015). إثنوغرافيا مستخدمي الوسائط الإعلامية والاتصالية الجديدة: رهانات البحوث الاجتماعية النوعية على الخط. *وسائط الاتصال بين الاستعمال والاستخدام*. الجزائر: مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر.

- مبروك بوطقوقة. (12 أكتوبر, 2010). *خطوات المنهج الإثنوغرافي*. تاريخ الاسترداد 10 01, 2019، من موقع أرنتروبوس: https://www.aranthropos.com/?p=575